

دلالة ﴿ اَلَّذِينَ اُوتُوا الْعِلْمَ ﴾ في القرآن الكريم قراءة تأويلية الاستاذ الدكتور حاكم حبيب الكريطي

كلية الآداب / جامعة الكوفة

تعالى ، فالعلمُ هنا اذاً موهبةً منه الله عز وجل ، لا يُقال لصاحبه متعلّم ، بل عالم ، لأنه أُوتي علماً لدنياً . ويُقال له عليم أيضاً . يقول ابن منظور ((ويجوز أن يُقال للانسان الذي علّمه الله علماً من العلوم عليم)) (١).

ولنعطف الآن نظرنا الى عبارة ((الذين أُوتوا العلم)) . وننظر اليها من خلال ما قدمناه ، فنقول :-

ان (الذين أُوتوا العلم) المشار اليهم في العنوان هم ابتداءً نخبة مؤمنة ، جازاهم الله تعالى بضربٍ من العلم ، مَيّرهم به من غيرهم ، فاستجابوا له بحسن مطاوعة وموافقة .

والآن سننظر في دلالة ((الذين أُوتوا العلم)) من خلال الآيات القرآنية التي وردت فيها ، لنتلّمس المعاني التي تؤيدها على وفق الداللتين المعجمية والسياقية .

وردت عبارة ((الذين أُوتوا العلم)) في تسع آيات مباركات ، وقد أتاح لنا استقراء هذه الآيات وضعها تحت ثلاثة أزمنة ، والتقسيم الزمني هذا جاء بلحاظ التنظيم المعرفي لما نريد ، وإلا فالقرآن الكريم لكل الأزمان ، ومصاديقه مذ خلق الله تعالى آدم - عليه السلام - الى أن يرث الأرض ومن عليها .

وهذه الأزمنة الثلاثة تُقسّم على النحو الآتي :-

الزمن الأول : قبل نزول القرآن الكريم :-
وردت هذه الدلالة في آيتين : الآية الأولى قوله تعالى في سورة القصص ٧٩ / ٨٠ ((فخرج على قومه في زينته قال الذين يريدون الحياة الدنيا ، يا ليت لنا مثل ما أوتي قارون انه لذو حظ عظيم . وقال الذين أُوتوا العلم ويلكم ثواب الله خير لمن آمن وعمل صالحاً ولا يلقاها إلا الصابرون)) .

وسياق الآية هنا يتصل بالحديث عن (قارون) ، واغتراره بالدنيا وبقية على قومه . (والذين أُوتوا العلم) هنا ، هم من قوم موسى ، راحوا يخاطبون بقولهم هذا ((أولئك الجهلة الذين تمنّوا أن يؤتوا مثل ما أوتي قارون ،

لعلّ الذهاب الى المعجم للوقوف على الاستعمال الاجتماعي للجزر (أتي) ، يضع أيدينا على بداية الوجهة الصحيحة لقراءة دلالات (الذين أُوتوا العلم) في القرآن الكريم قراءة تأويلية ، لأنّ آية لفظية - ومهما تعددت دلالاتها - ستبقى وفيّة لأصلها اللغوي ، الذي يتعلّق مع السياقات المختلفة ، من أجل تبرز المعاني الجديدة لها بعد مغادرة المعجم ، تلك المعاني التي لا تبعد كثيراً عن معاني الاستعمال الاجتماعي الذي تدور اللفظة في إطاره .

ومن هنا ، فإنّ عودتنا الى المعجم ، ستبسط أمامنا الدلالات التي يتمحور حولها الجزر (أتي) وهو الذي يهدينا الى القراءة التأويلية التي نريدها ، لا من أجل التأويل فذلك ليس من وكدنا ، وإنما من أجل الوقوف على دلالة هذه اللفظة في القرآن . جاء في لسان العرب تحت الجزر (أتي) المعاني الآتية (٢)

- ١- أتى يؤاتي إيتاء وآتاه أي أعطاه .
- ٢- آتاه الشيء أعطاه إياه .
- ٣- آتاه : جازاه .
- ٤- المؤتاة : حسن المطاوعة ، وآتيته على ذلك الأمر .

مؤتاة : اذا وافقته وطاوعته .
انّ مقارنة أولى لهذه الدلالات ، تكشف لنا عن أنّ الجزر (أتي) يحمل في ذاته دلالتين ، الأولى تشير الى ثمة مُعطٍ ، ومعطى له ، آتٍ ومأتي له . والثانية تشير الى حسن المطاوعة والموافقة ، وهذه لا تكون إلا من المعطى له .
وإذا أردنا أن نعيد صياغة هذا المعنى مع ملاحظة مفردة (العلم) وهي محل الاعطاء والاتيان ، نقول :-

ان العلم يكون بين طرفين ، المعطي ، والمُعطى له مع حسن مطاوعة الأخير للأول . ومادام الأمرُ هنا يتعلّق بدلالة عبارة قرآنية ، نقول : أنّ هذا الضرب من العلم لا يأتي من طريق التعلّم ، ولا يكتسبُ بالجهد ، وإنما يُعطيهِ العليم الذي يُعطي ولا يُعطى ، وهو الله

على من أوتي العلم من قبل نزوله ، بحسب الآية المباركة . وبعبارة أخرى نقول ان علم هؤلاء الذين أوتوا العلم محيط بعلوم القرآن الكريم بدلالة سجودهم اذا تلى عليهم . سجود اعظام وتبجيل وعبادة وإيمان .

وذهب المفسرون في بيان (الذين أوتوا العلم) قبل القرآن ، الى القول أنهم مؤمنوا أهل الكتاب بعد أن أسلموا (١) . بل إن السيد الطباطبائي في الميزان أثر ترك تخصيص هؤلاء ، ثم عدل الى القول انهم من أهل الحق والدين غير المنسوخ يومئذ ، هو دين المسيح - عليه السلام - فهم أهل الحق من علماء النصرانية الذين لم يزيغوا ولم يبدلوا (((٢) .

وعندي ان المراد بالذين أوتوا العلم هنا ، شخص آمن بالقرآن الكريم قيل نزوله ، وبنبوة النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - . وهذا الأمر لا ينطبق تماماً على من أسلم من أهل الكتاب مثل عبد الله بن سلام ، الذي ذهب بعض المفسرين الى القول إنه المقصود بالذين أوتوا العلم في هذه

الآية (٣) ، وهذا الأمر فيه نظر ، لأن عبد الله بن سلام تأخر في اسلامه الى سنة ثمان للهجرة أو تسع على بعض الروايات (٤) ، ولو كان على وصف (الذين أوتوا العلم) لذهب مع من ذهب من مواليه (الخرج) الى بيعة العقبة (٥) ، بل لحنثهم على ذلك إيماناً بصحة نبوة النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - ، هذا فضلاً عن ان المعنى اللغوي الذي أمدنا به المعجم لا يُعطي لهذا الصحابي - على قدره في الاسلام - هذه المرتبة التي ترتبط بتوصيف الذين أوتوا العلم .

ثم إن سورة الاسراء ، سورة مكية (١) وعبد الله بن سلام مدني ، تأخر في اسلامه فكيف يكون مصداقاً لهذه الآية؟! نحسب ذلك بعيداً .

والذي نراه ان هذا الأمر ينطبق على الإمام علي - عليه السلام - ، لأنه ممن أوتي علماً قبل نزول القرآن الكريم ، فيكون المصداق الرئيس للآية ، وعندنا من الأدلة ، ما يجعل ترجيحنا يقيناً - إن شاء الله - .

لقد صحب الإمام - عليه السلام - النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - في مجاورته في غار حراء

وعَدَّوه سعادة عظيمة على الاطلاق (((٢) واكتفى المفسرون بالتوصيف العام لهؤلاء (الذين أوتوا العلم) فهم أحرار بني اسرائيل (١) ، والعلماء المؤمنون بثواب الله (٢) ، والمصدقون بوعده (٣) ، الخالص من قوم موسى (٤) ، وهذا وصف مُعْتَم ، لا تقبله اللغة ، لأن جملة (صلة الموصول) ، يجب أن تكون معلومة للمخاطب ، معهودة عنده (٥) ، وما جعله المفسرون معنى لجملة الصلة (أوتوا العلم) ، لا يحقق متطلبات النحو في صلة الاسم الموصول ، لعموميته . فضلاً عن انه لا يفي بما تُريده معاني الجذر (أتي) كما مر بنا .

على اننا بالتفاتةٍ اخرى الى المعنى اللغوي والقرآني (الذين أوتوا العلم) ، نظفر بتوجيه نحسيه راجحاً هنا ، وهو ان (يوشع بن نون) وصي موسى - عليه السلام - من الذين آتاهم الله تعالى علماً ، ووصية موسى له كافية للدلالة على سعة علمه (٦) .

واستناداً الى هذا التوجيه ، تكون دلالة (الذين أوتوا العلم) في الآية مقرونة به ، وبهذا يتحقق للغة ما أرادته من معرفة المخاطب بدلالة جملة الصلة لأن علم (يوشع بن نون) كان معهوداً ومعلوماً عند بني اسرائيل عصرئذ .

ولا ضير من أن نضيف هنا ، ان من أشار اليهم المفسرون فيما مر ، كانوا يؤمنون بعلم (يوشع بن نون) ، وربما ردد بعضهم أو كلهم ما ورد في الآية المباركة ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيَلَكُمْ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِمَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا وَلَا يُقَاها إِلَّا الصَّابِرُونَ ﴾ (٧) .

والذي نلاحظه الآن ان المعنيين اللغوي والقرآني تعاضدا في بيان (الذين أوتوا العلم) ، ولو اقتصر الأمر على أحدهما لما ظفرنا بما يقنعنا ، بعد أن ذهب بنا المفسرون مذاهب شتى في توجيه دلالة الآية .

أما الآية الثانية التي يحتضنها هذا الزمن ، فهي قوله تعالى في سورة الاسراء / ١٠٧ ﴿ قُلْ آمِنُوا بِهِ أَوْ لَا تُؤْمِنُوا إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا ﴾ وقيل الحديث عن (من قبله) زمناً ، يجدر بنا أن نشير هنا الى ان هذا الزمن ليس زمناً مطلقاً ، وإنما هو زمن محدد ، تحتضنه السنوات التي سبقت البعثة . لأن القرآن يتلى

شهرًا من كل عام ، النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - يتعبد وهو يتعبد معه ، والنبي ينتظر الوحي وهو ينتظر معه ، يقول - عليه السلام - عن ذلك : ((أرى نور الوحي والرسالة وأشم ريح النبوة)) (٢) ولا يقول هذا إلا من أوتي علماً ، جعله يتحسس ويشم عقب الرسالة والنبوة ، قبل الاعلان الرباني لها على الناس ، وفي حديث للإمام الصادق - عليه السلام - ما يجلي هذه القضية تماماً ، وكأنه يشير الى هذا العلم الذي نحن بصدده ، يقول - عليه السلام - ((كان علي - عليه السلام - ، يرى مع رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - قبل الرسالة الضوء ويسمع الصوت)) (٣) ، و (قبل الرسالة) في نص الحديث ، واضحة الدلالة على ما نريده ، ولا يتأتى ما في الحديث إلا لمن خصه الله تعالى بعلم من عنده ، وهنا نستحضر - بتكرار غير ممل - فتوى المعجم في هذا المعنى . ونستحضر أيضاً قول النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - للإمام - عليه السلام - ((إنك تسمع ما أسمع وترى ما أرى إلا إنك لست بنبي ولكنك وزير وإنك لعلی خير)) (١) ، وهذا القول قاله النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - في غار حراء بعد أن سمع رنة الشيطان (٢) .

واستناداً الى ما قدمناه ، فإننا لا نحتاج الى توجيه الآية الى من كان على اليهودية والنصرانية من الصحابة ، قبل أن يُسلم ، ما دامت دلالة الآية متجسدة في الإمام - عليه السلام

هذا فضلاً عن إن سياق الآية يتعلق بنزول القرآن مفزقاً ، والشاهد على نزوله أول مرة ، الإمام - عليه السلام - كما في روايات المسلمين عامة . وكما مرّ علينا من مجاورة الإمام مع النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - في حراء .

ومن هنا يكون (الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ) ، على علم ودراية ومعرفة بالله سبحانه وتعالى وبآياته من قبل نزول القرآن ، أي إنهم ((استعدوا لفهم كلمة الحق وقبولها لتجهزهم بالعلم بحقيقة معناه ، وإيراثه إياهم)) (٣) وهذا العلم هو علم لدني - المعنى اللغوي - من الله تعالى به على علي بن أبي طالب - عليه السلام - ، كما سنرى بياناً لذلك في صفحات لاحقة .

الزمن الثاني : بعد نزول القرآن الكريم . ويتمثل هذا الزمن في الآيات الآتية :-

١- قوله تعالى في سورة العنكبوت ٤٩ : ﴿ لَيْلٌ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا الظَّالِمُونَ ﴾ .

يلحظ في سياق هذه الآية - أيضاً - ، إن الذين أوتوا العلم هنا ، نمط عالٍ من المسلمين ، كان القرآن في صدورهم آيات بيناتٍ ، بعد أن جحد الظالمون به . وهذه الصفة لا يمكن أن تشمل جميع المسلمين ، ومنا هنا لم يكن المفسرون على حال واحدة في بيان هؤلاء ((الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ)) ، وهم - أي المفسرون أرادوا البيان فجاءوا بالغموض - مرة أخرى . بعد أن عمّموا ما يظهر خاصاً في الآية المباركة . فالطبري مثلاً قال إن المقصود بالذين أوتوا العلم هنا ((النبي - صلى الله عليه وآله وسلم -) (١) .

وهذا قول عام ، أراد الطبري سبيلاً للتخلص من حرج بسط القول في بيان المراد . لأن سياق الآية فيه تسلية للنبي الأكرم ، بعد أن شك المشركون في صحة القرآن الكريم . وإلا فالنبي - صلى الله عليه وآله وسلم - هو سيد الذين أوتوا العلم من ولد آدم - عليه السلام - .

وذهب القرطبي الى عموم أكثر حينما زعم ان المراد (بالذين أوتوا العلم) في الآية هم ((أصحاب محمد صلى الله عليه وآله وسلم والمؤمنون به ... ووصفهم بالعلم ، لأنهم ميزوا بفهامهم بين كلام الله وكلام البشر والشياطين)) (٢) .

ومن الغريب أن يوجّه القرطبي دلالة العبارة هذا التوجيه - وهو من هو في تفسير النص القرآني - وهو يعلم ان عتاة المشركين ميزوا حال نزول القرآن ، بين كلام الله تعالى وكلام البشر والشياطين ، فهذا الوليد بن المغيرة يميز القرآن وبين قول البشر ((والله لقد نظرت فيما قال هذا الرجل ، فإذا هو ليس له بشعر وإن له لحلاوة وإن عليه لطلاوة وإنه ليعلو وما يُعلو وما أشك إنه سحر)) (٣) .

إن سياق الآية ودلالاتها ، يدلنا بوضوح على ملامح الذين أوتوا العلم ، فهم ممدوحون - كما أشرنا - ، لأن القرآن محفوظ في صدورهم . حفظ وعي وثبت وإدراك وإيمان وعقيدة ، وهذا كله من شأن من شاء الله تعالى أن يميزه من غيره وهو علي بن أبي طالب - عليه السلام - ، لقد صار معهوداً عند المسلمين إن علياً - عليه

السلام - هو الموصوف بإتيان العلم - في سورة الاسراء - كما مرّ - ، ومن هنا تكون صلة الموصول (أوتوا العلم) واضحة في الدلالة عليه ، من خلال جمع دلالتي الآيتين ، خاصة وإن سورة العنكبوت نزلت بعد سورة الاسراء بزمن . والقرآن يُفسّر بعضه بعضاً - كما ثبت - .

وقد ذهب الى هذا التوجيه جمع من المفسرين ، إذ قالوا إنّ الذين أوتوا العلم في هذه الآية هو علي بن أبي طالب - عليه السلام - (١) ، أعانهم على هذا التوجيه روايات صحيحة ، مثل هذه الرواية التي نقلها أبو بصير إذ قال ((سألتُ أبا عبد الله - عليه السلام - عن هذه الآية ((بل هو آيات بينات في صدور الذين أوتوا العلم . قلتُ فأنتم هم ، قال : فمن عسى أن يكون)) (٢)

وهذه الروايات - تسوّغ لنا قراءتنا للمعاني المعجمية - كما مرّ - وتسوّغ لنا ما استنبطناه من دلالات في بيان من (أوتي علماً) في الآيات السابقات ، من دون أن نستنزف كل المعطيات الدلالية على ما نريد بيانه .

٢- قوله تعالى في سورة محمد ١٦/ : ﴿ وَمِنْهُمْ مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّىٰ إِذَا خَرَجُوا مِنْ عِنْدِكَ قَالُوا لِلَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مَاذَا قَالَ آنفًا وَلَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ ﴾ .

وهذه الآية تخصّ المنافقين الذين كانوا يستمعون الى أحاديث النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - ويخرجون ليسألوا الذين أوتوا العلم ، وكأنهم لم يفقهوا منها شيئاً ، عناداً وبعداً عن الاسلام . وهنا مال بعض المفسرين الى تعميمهم المفضل في الإشارة الى الذين أوتوا العلم فهم أهل العلم بكتاب الله (٣) ، أو علماء الصحابة

(٤) ، إلا إنّ ما يلفت النظر حقاً ، ما أورده الطبري في تفسيره من أنّ الذين أوتوا العلم هنا (الصحابة) ، وهذا مقبول إذ سبق أن قال به فيما مضى ، إلا ان ما يعترض عليه ، إنّ أورد خبراً عن ابن عباس بشأن دلالة هذه الآية ((قال ابن عباس : انا منهم وقد سئلت فيمن سئل (((١) ، فالخبر يبيّن أن أهل العلم معروفون ، ووضع ابن عباس نفسه منهم ، إذ سأله المنافقون ((، فكيف تكون (دلالة الذين أوتوا العلم) على الصحابة جميعاً ؟ .

ظني هنا ان ما أورده الطبري من قول ابن عباس هذا ، زاد دلالة الذين أوتوا العلم على علي بن أبي طالب - عليه السلام - يقيناً ، لأنّ ابن عباس أراد أن يكون منهم ، بل قال انه منهم ، ولو كانوا هم الصحابة جميعاً أو مسلمة الفتح أو علماء أهل الكتاب لما قال ذلك ولكنه استند الى معرفة المسلمين بالذين أوتوا العلم - فقال وأنا منهم ، معتمداً على صلة النسب ، على الرغم من أنه قال في ذيل كلامه أنّه سُئل فيمن سُئل ، إذ قرر أن هناك من سُئل قبله ، بعد أن صار (حبراً للأمة وترجماناً للقرآن) على وفق ما قيل فيما بعد .

وثمة روايات أوردها القرطبي في تفسيره سمّت بعض (الذين أوتوا العلم) في الآية ، ومنهم عبد الله بن مسعود ، وأبو الدرداء ، فضلاً عن ابن عباس المشار إليه سابقاً (٢) . والغريب هنا أنّ هذه الروايات لم تُسمّ علياً من (الذين أوتوا العلم) ، وتناست ان الآية تنصّ على (استهزاء) المنافقين بالنبي - صلى الله عليه وآله وسلم - وبالذين أوتوا العلم - وحاشاهم - ، وعلي - عليه السلام - أبغض المسلمين الى المنافقين ، وهو من أخذ العلم من النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - ، فالاستهزاء به أكثر قرباً الى نفوس المنافقين الذين كانوا يُعرفون ببغضه ، يقول أبو سعيد الخدري ((كنا نعرف المنافقين على عهد النبي ببغض علي)) (٣) ، ومن هذا شأنه حري به أن يبحث عمّا يؤذي علي بن أبي طالب - عليه

(٤) ينظر الأصابة ١٠٢/٤ .

(٥) لم يرد اسمه ضمن أسماء من شهد بيعة العقبة ، ينظر البداية والنهاية ٢٠٣/٣ وما بعدها .

(١) ينظر تنزيل القرآن ٢٧/١ ، ونشير هنا الى ان سعيد بن جبیر استبعد دلالة (ومن عنده علم الكتاب) على عبد الله بن اسلام لأن سورة الآية مكية . ينظر فتح القدير ١٠٣/٣ .

(٢) تفسير القمي ٢٩/٢ .

(٣) شرح نهج البلاغة ٢١٠/١٢ .

(٤) نهج البلاغة ١٥٨/٢ .

(٥) نفسه .

السلام - ، وهكذا كان شأن المنافقين معه ، يقول ابن أبي الحديد ((... كما ان كلام علي - عليه السلام - مملوء بالشكوى من منافقي أصحابه والتألم من أذاهم له والتوائهم عليه)) (١) . وليس أكثر ألماً له من الاستهزاء بالنبي - صلى الله عليه وآله وسلم - وبه . واستناداً الى هذا كله ، فإن دلالة الآية لا تنصرف إلا لعلي - عليه السلام - ، حتى وإن ساد عند بعض المفسرين - كما مر - قول غير هذا ، وسلم به البعض لضخامة اسم من قال به .
 بيد أننا لا نكتفي بهذه الأدلة العقلية فقط - على متانتها وقوة ما تقدمه من مسوغات - وإنما سنورد بعض المساند الروائية الصحيحة التي تتعاقب مع الأدلة العقلية في بيان ما نريد .
 روي عن الأصبغ بن نباته عن علي - عليه السلام - إنه قال ((انا كنا عند رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - فيخبرنا بالوحي فأعياه أنا ، ومن يعيه فإذا خرجنا قالوا : ما ذا قال أنفأ)) (٢) ، والملاحظ هنا ان قول الإمام - عليه السلام - جاء تفسيراً للآية المباركة عامة ولـ (الذين أوتوا العلم) خاصة ، الذين يعيون القرآن حال اخبار النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - لهم به . فإذا خرجوا سألهم المنافقون .

وهنا نشير الى ان عبارة (الذين أوتوا العلم) التي تعني علياً ، لا تمنع أن يشترك معه في معرفة بعض القرآن من يعطيه النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - شيئاً من علمه ، أو يعطيه هو - عليه السلام - بعض ذلك ، كهذه الرواية التي تقول أنه - عليه السلام - ، ذكر جابراً بن عبد الله ((فوصفه بالعلم فقال له رجل : جعلت فداك تصف جابراً بالعلم وأنت أنت . فقال : انه كان يعرف تفسير قوله تعالى ﴿ إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ ﴾)) (٣) .

الزمن الثالث : يوم القيامة :-

يتجسد هذا الزمن الذي يظهر فيه (الراسخون في العلم) في آيتين ، الأولى :- قوله

تعالى في سورة النحل / ٢٧ ﴿ تَمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يُخْزِبُهُمْ وَيَقُولُ أَيُّبِ سُرْكَائِيَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تُشَاقِقُونَ فِيهِمْ قَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ إِنَّ الْخِزْيَ الْيَوْمَ وَالسُّوءَ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴾ .

والثانية قوله تعالى في سورة الروم / ٥٦ ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَالْإِيمَانَ لَقَدْ لَبِئْتُمْ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِلَى يَوْمِ الْبَعْثِ فَهَذَا يَوْمُ الْبَعْثِ وَلَكِنَّكُمْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ .

وقد اختلف المفسرون في بيان الذين أوتوا العلم في الآيتين ، وأثروا التعميم الذي لا يتناسب وسياق الآيتين ، لأنه سياق تخصيص وبيان لطبقة (الذين أوتوا العلم) ، الذين أذن الله تعالى لهم بالحديث يوم الحشر ، فقالوا - أي المفسرون - أنهم ((من الملائكة والأنس)) (١) ، أو الملائكة والمؤمنون (٢) ، أو المؤمنون العلماء (٣) ، وهذا تفسير أقرب الى الانشاء منه الى روح العلم ، ففيما يخص قولهم ان (الذين أوتوا العلم) هم الملائكة الذين سخرهم الله تعالى لتنفيذ أوامره . فيرد بالقول ان الله تعالى لم يذكر للملائكة شيئاً من الأمر أو النهي يقول السيد الطباطبائي : ((وأما المحشر وهو حضرة البعث والسؤال والشهادة وتطهير الكتب والوزن والحساب والظرف الذي فيه الحكم الفصل ، فلم يذكر للملائكة فيه شيء من الحكم أو الأمر أو النهي ولا لغيرهم صريحاً إلا ما صرح تعالى به في حق الانسان)) (٤) .

أما قولهم ان المؤمنين عامة أو جميع المؤمنين العلماء أو مؤمني هذه الأمة أو جميع المؤمنين هم المعروفون بـ ((الذين أوتوا العلم)) في الآيتين - فهذا بعيد ، لأن من يتكلم يوم الجمع ، ويؤنب الكافرين الذين لم يؤمنوا من قبل ، هو أرفع مقاماً من غيره في هذا اليوم ، ولو كان المؤمنون كلهم بهذا الوصف لأنتفت الحاجة الى التركيز على صفة (العلم) الذي من يحمله يتكلم في يوم المحشر . فعلمه أجاز له النطق ، ومن ينطق في هذا اليوم . لا ينطق إلا صدقاً

(٢) تفسير الطبري ٣٠٨/٢ ، وتُنظر تفاسير أخرى بالعموم نفسه في زاد المسير ١٣٤/٦ ، الدر المنثور ١٤٨/٥ ، فتح القدير ٢٠٨/٤ .

(١) ينظر التفسير الصافي ٢٠/١ ، نور الثقلين ١٦١/٤ .

(٢) بصائر الدرجات ٣٢٥ ، وينظر الكافي ٢١٤/١ .

(٣) تفسير الطبري ٦٦/٢٦ .

(٢) الميزان ٢٢١/١٢٢ .

(١) ينظر تفسير الطبري ٨/٢١ .

(٢) تفسير القرطبي ٣٥٤/١٣ .

﴿ يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا لَا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَدَبَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَقَالَ صَوَابًا ﴾ [النبا ٣٨] ، ((والقول لا يكون صواباً بحق المعنى إلا مع كون قائله مصوناً من خطاه ولغوّه وباطله ، ولا يكون مصوناً في قوله إلا اذا كان مصوناً في فعله وفي عمله)) (١) .

واستناداً الى هذا يكون ((الذين أوتوا العلم)) هنا أهل العصمة وهم أهل البيت - عليهم السلام - . وهذا يتناغم مع مداليل العبارة في الآيات المباركات التي أشرنا إليها في الزمنين السابقين .

بيد أنّ ما يستحق الوقوف عنده هنا ، إنّ السيد الطباطبائي في الميزان ، عدّ إيتاء العلم الوارد في القرآن الكريم لا يدلّ على العصمة ، على الرغم من أنّ التفسير الذي تبنّاه في قراءة آية سورة النحل / ٢٧ ، قاده الى القول الآتي ((فإن قلت فالذين أوتوا العلم بناء على ما فسرهم أهل العصمة لكن تدفعه كثرة ورود هذه اللفظة في كلامه تعالى وإرادة غيرهم)) (٢) . وعلى الرغم من أننا في قراءتنا التأويلية لم نقف على مراد آخر غير أهل العصمة كما تكشف في الصفحات السابقة .

ولعلّ هذه النتيجة التي أهدينا إليها ، تُغيّرنا بالبحث عن حجة أخرى تقويها نلتمسها من النص القرآني ، وقد وجدنا ان موقف (الذين أوتوا العلم) يشبه موقف أهل الأعراف الوارد في قوله تعالى ﴿ وَنَادَى أَصْحَابُ الْأَعْرَابِ رَجَالًا يَعْرِفُونَهُمْ بِسِيمَاهُمْ قَالُوا مَا أَغْنَىٰ عَنْكُمْ جَمْعُكُمْ وَمَا كُنْتُمْ تُسْتَكْبِرُونَ ﴾ [٤٨] أهؤلاء الَّذِينَ أَفْسَمْتُمْ لَأَنبَأَهُمُ اللَّهُ بِرَحْمَةٍ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ وَلَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ ﴾ [الأعراف ٤٨-٤٩] ، فهؤلاء رجال لهم منزلة عالية عند الله عز وجل (٣) ، أتاحت لهم - بأمره - تعالى - أن يتكلموا في يوم الحشر ، ويؤنبون الكفار على فعلهم ، فهم من الذين يأذن لهم الرحمن ليقولوا صواباً ، وهكذا تتوافق صفاتهم مع صفات (الذين أوتوا العلم) في موقف العرض على الله تعالى ، وقد خلص كثير من المفسرين الى ان

أصحاب الأعراف هم الأئمة - عليهم السلام - . (٤) .

واستناداً الى ما تقدم يكون (الذين أوتوا العلم)) هم الأئمة - عليهم السلام - وعلي بن أبي طالب - عليه السلام - في مقدمتهم ، فهو يتحدث في آيات الزمنين الأول والثاني عن نفسه وفي آيات الزمن الثالث عن نفسه وعن الأئمة من ولده ، أو يتحدثون هم جميعاً بما يريد الله تعالى في يوم الحشر .

ثم لا بد من الإشارة أخيراً الى ان العلم الذي يؤتبه الله تعالى يكون عاصماً لصاحبه من الانزلاق الى مهاوي الهوى ، لذا يكون عمله سبيلاً لبلوغ المراتب العليا عند الله تعالى ، بعد أن قرن ما تعلمه من الله بعمله ، وهذا هو مدار معاني الآيات التي ورد فيها ذكر ((الذين أوتوا العلم)) .

المصادر/ القرآن الكريم

١- الاصابة في تمييز الصحابة ، ابن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢هـ) ، تحقيق الشيخ عادل أحمد عبد الموجود ، ط ١ ، ١٤١٥هـ ، دار الكتب العلمية ، بيروت - لبنان .

٢-الأصفي في تفسير القرآن ، المولى الفيض الكاشاني (ت١٠٩١هـ) ، مركز الأبحاث والدراسات الاسلامية ، ط ١ ، ١٤١٨هـ ، مطبعة مكتب الاعلام الاسلامي .

٣- الأمالي ، الشيخ الصدوق (ت ٣١٨هـ) ، قسم الدراسات الاسلامية مؤسسة البعثة ، ط ١ ، قم ١٤١٧هـ .

٤- البداية والنهاية ، لأبن كثير (أبو الفداء اسماعيل بن كثير الدمشقي (ت٧٤٧هـ) ، تحقيق علي شيري ، دار إحياء التراث العربي ، ط ١ ، ١٤٠٨هـ ، بيروت - لبنان .

٥- بصائر الدرجات الكبرى ، محمد بن الحسن الصفار ، تحقيق ميرزا محسن كوجة باغي ، مؤسسة الأعلمي ، طهران ، مطبعة الأحمدي

٦- التبيان في تفسير القرآن ، الشيخ الطوسي (ت٤٦٠هـ) ، تحقيق أحمد حبيب قصير العاملي ، مكتب الاعلام الاسلامي ، ط ١ ، ١٤٠٩هـ ، قم .

٧- تفسير أبي السعود (رشاد العقل السليم الى مزايا الكتاب الكريم) ، لأبي السعود محمد بن محمد بن مصطفى العماري .

(٤) زاد المسير ١٥٠/٧ .

(١) تفسير الطبري ٢٦ / ٦٦ .

(٢) تفسير القرطبي ١٦ / ٢٣٨ .

(٣) الصراط المستقيم ١٩٤/١ .

٨- تفسير البغوي (معالم التنزيل) ، الحسين بن مسعود البغوي (ت ٥١٦ هـ) ، حققه وخرّج أحاديثه محمد عبد الله النمر وآخرون ، دار طيبة للنشر والتوزيع ، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م ، ط ٤ .

٩- تفسير البيضاوي (أنوار التنزيل وأسرار التأويل) ، للبيضاوي ناصر الدين بن محمد البيضاوي .

١٠- تفسير الثعالبي (الجواهر الحسان في تفسير القرآن) ، أبو زيد الثعالبي .

١١- تفسير الصافي - الفيض الكاشاني (ت ١٠٩١ هـ) ، تحقيق الشيخ حسين الأعلمي ، مؤسسة الهادي ، قم المقدسة ، مكتب الصدر ، ط ٢ ، ١٤١٦ هـ .

١٢- تفسير الطبري (جامع البيان عن تأويل أي القرآن) ، ضبط وتوثيق وتخريج صدقي جميل العطار ، دار الفكر ، بيروت ، ١٤١٥ هـ .

١٢- تفسير القرطبي (الجامع لأحكام القرآن) ، للقرطبي أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري (ت ٦٧٠ هـ) ، دار إحياء التراث العربي ، مؤسسة التاريخ العربي ، بيروت ، ١٤٠٥ هـ .

١٣- تفسير القمي ، للقمي (ابو الحسن علي بن ابراهيم لقمي (ت ٣٢٩ هـ) - تصحيح السيد طيب الجزائري ، مؤسسة دار الكتاب ، قم ، ط ٣ ، ١٤٠٤ هـ .

١٤- تفسير ابن كثير (تفسير القرآن العظيم) ، ابو الفداء اسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي (ت ٧٧٤ هـ) ، دار المعرفة ، بيروت ، ١٤١٢ هـ .

١٥- تفسير نور الثقلين ، الشيخ عبد علي الحويزي (ت ١١١٢ هـ) ، تحقيق السيد هاشم الرسولي المحلاتي ، مؤسسة اسماعيليان ، ط ٤ ، ١٤١٢ هـ .

١٦- الدر المنثور ، جلال الدين السيوطي (ت ٩١١ هـ) ، دار المعرفة ، مطبعة الفتح ، جدة ، ط ١ ، ١٣٦٥ هـ .

١٧- رسائل المرتضى ، الشريف المرتضى (ت ٤٢٦ هـ) ، تحقيق السيد مهدي رجائي ، دار القرآن ، مطبعة سيد الشهداء ، ١٤٠٥ هـ .

١٨- زاد المسير في علم التفسير ، ابن الجوزي (ابو الفرج جمال الدين بن عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (ت ٥٩٧ هـ) ، تحقيق محمد بن عبد الرحمن عبد الله ، دار الفكر ، ط ١ ، بيروت ، ١٤٠٧ هـ .

١٩- شرح الكافية ، رضي الدين الاسترابادي (ت ٦٨٦ هـ) ، المطبعة العثمانية ، الهند ، ١٣١٠ هـ .

٢٠- شرح المفصل ، لأبن يعيش (موفق الدين يعيش بن يعيش (ت ٦٤٣ هـ) ، بيروت ، لبنان ، عالم الكتب .

٢١- شرح نهج البلاغة ، ابن أبي الحديد (ت ٦٥٦ هـ) ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار احياء الكتب العربية ، منشورات مكتبة آية الله العظمى المرعشي النجفي .

٢٢- الصراط المستقيم الى مستحقي التقديم ، زين الدين علي بن يونس العاملي (ت ٨٧٧ هـ) ، تحقيق محمد الباقر البهبودي ، المكتبة الرضوية لإحياء الآثار الجعفرية ، مطبعة الحيدري .

٢٣- علل الشرائع ، الشيخ الصدوق (ت ٣٨١ هـ) ، المكتبة الحيدرية في النجف الأشرف ، ١٣٨٦ هـ - ١٩٦٦ م .

٢٤- فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية في علم التفسير ، محمد بن علي الشوكاني (١٢٥٠ هـ ، عالم الكتب ، بيروت ، لبنان .

٢٥- الكافي ، الشيخ الكليني (ثقة الاسلام) ، محمد بن يعقوب الكليني (ت ٣٢٨ - ٣٢٩ هـ) ، تحقيق علي اكبر غفاري ، دار الكتب الاسلامية ، مطبعة حيدري ، ط ٣ ، ١٣٨٨ هـ .

٢٦- نهج البلاغة ، الإمام علي بن أبي طالب - عليه السلام - ، تحقيق الشيخ محمد عبده ، دار المعرفة ، بيروت - لبنان .

